العبد الصالح
وموسى الكليم

د. رشاد حسن علي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله الذى أنزل إلينا كتاباً فيه نبأ ما قبلنا ، وخبر ما بعدنا ، وحكم ما بيننا ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأفئدة ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى الى صراط مستقيم .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الأولين والآخرين ، نبى البر ، ومعلم الخير سيدنا محمد أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فختم برسالته الرسالات ، وهدى به من الضلالات ، وفتح به أعينا عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوبا غلفاً ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتآلفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام به الملة العوجاء ، وأوضح به المحجة البيضاء ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وجعل الهدى والفلاح فى اتباعه وموافقته ، والضلال والشقاء فى معصيته ومخالفته صلى الله عليه وعلى

الـه وصـحبه السـادة الأطهـار المتقين الأبـرار ، الذين آمنـوا بـه وعـزروه ونصـروه واتبعـوا النـور الذى أنزل معـه .

وبعـد :

فـإن القصـة من الأساليب المؤثـرة فى النفس البشـرية ، وهى وسـيلة فعـالة فى غـرس معـانى الخـير والفضـيلة حيث يتعـلق الإنسـان بأشخاص القصـة وأحداثهـا ، ويستمر معهـا بوجـدانه وأحاسيسه الى أن يصـل الى نتيجتهـا وعند ذلك تقـع النتيجـة فى نفسـه موقـع التأثير ، وتتمكن المعـانى فى قلبـه غـاية التمكن ، ومن هنـا حـرص القـرآن الكريم على إيـراد القصص ، يصـور فيهـا أحوال السابقين وأخبـار الغابرين عبـرة لأولى الألبـاب وذكـرى للمؤمنين ، قـال تعـالى : « **لقـد كـان فى قصصهم عبـرة لأولى الألبـاب** » (١) .

والقـرآن فى قصصه ينقـل قصص السابقين نقـلا أمينـاً ، يفصـله ويضـحه توضيحا دقيقـاً يجسـم الواقـع ويشـخص الأحـداث بعيـدا عن عنصـر الخيـال وطريقة التمثيـل فهـو الصـدق الخـالص والحـق الصـراح والواقـع الذى لا مـرية فيـه ولاشـك يعتـريه ، قـال تعـالى : « **إن هـذا لهـو القصص الحـق** » (٢) .

---

(١) سـورة يوسـف آيـة : ١١١ .

(٢) سـورة آل عـران آيـة : ٦٢ .

ولهذا حين نقرأ ونتابع القصص القرآنى نشعر بأننا فى جو الحادثة ومع أصحابها نشاهد مشاهدها ونستمع الى حوارها .

ومجىء القصص القرآنى على هذه الصورة جزء من الرسالة الصالحة لكل زمان ومكان ومن هنا كان القرآن الكريم عظيما فى النفوس مهيمناً على القلوب موجها للعقول مستولياً على الأرواح مهذباً للطباع والأخلاق .

هذا : ومن القصص القرآنى الذى قصه الله علينا قصة موسى الكليم مع العبد الصالح عليهما السلام فى سورة الكهف وهى تبدأ بقوله تعالى : « **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ...** » الى قوله تعالى : « **وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا** » . وسوف نعرض لهذه القصة ونتناولها بشىء من التفصيل والتحليل حتى نبرز مافى جوانبها من العبر والعظات والدروس النافعات ، وسوف نتحدث عنها فى نقاط محددة وعناصر مميزة وهى كما يلى :

أولا : مناسبة القصة لما قبلها .

ثانيا : حديث القرآن والسنة عن هذه القصة .

ثالثا : بداية الرحلة والبحث عن العبد الصالح .

رابعـا : لقـاء مـوسى بالعبـد الصـالح وما دار بينهمـا من حـوار •

خامسا : الأحداث العجيبـة والأفعال الغريبة التى فعلها الخضر عليـه السـلام •

سادسا : الفـراق وتأويـل التصرفات الغريبـة •

سابعا : نبـوة الخضـر عليـه السـلام •

ثامنـا : مـوت الخضـر عليـه السـلام •

خاتمـة البحث وتشتمل على أهـم العبـر والعظات المستفادة من هـذه القصـة •

* أولا ـ مناسـبة القصـة لمـا قبلهـا :

هـذه هى القصـة الثالثة من القصص الذى أوردتـه سورة الكهف فقـد أوردت السـورة الكريمة قبـل ذلك قصـة أصـحاب الكهف ثـم قصـة صـاحب الجنتين •

وقـد ذكـر المفسرون لهـذه القصـة وما قبلهـا وجوهـا من المناسبات منهـا ماهـو واضـح الارتبـاط ومنهـا ما لا يظهـر ارتبـاطه بمـا قبـله إلا بضـرب من التكلف والتمحـل ، وإليـك بعض الوجـوه الواضحة فى مناسبة هـذه القصـة لمـا قبلهـا :

١ ــ ذكر الله عز وجل قبل هذه القصة قوله تعالى : « **ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل** » وذكر هنا لوناً من ألوان تعريف القول بأسلوب القصة والحوار وفيه من عظيم الآداب والحكم والعظات والعبر الشىء الذى لا يحاط به .

٢ ــ ذكر أيضاً قبل هذه القصة قوله تعالى : « **وكان الانسان أكثر شىء جدلا** » وهى تشير الى أن الانسان بطبيعته لا يستسلم لبراهين الحق وأدلة العقل وظهور الحجة إلا بعد المجاهدة والجدال .

وجاءت قصة موسى والخضر عليهما السلام لتبرز هذا الجانب من الطبيعة البشرية والذى يتمثل فى اعتراض موسى على ما رآه من الأفعال الغريبة والأحوال العجيبة من الخضر عليه السلام ولتبين أن للنفس الإنسانية حدودا معينة وأنه ينبغى للانسان ترك الجدال والمراء ولو كان محقاً .

٣ ــ جاء فى الآيات السابقة قوله تعالى : « **إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا** » وهى تشير الى أن وسائل الإدراك والمعرفة هى السمع والبصر والفؤاد ثم جاءت الإدراك والمعرفة هى السمع والبصر والفؤاد ، ثم جاءت المعهودة عند الناس وإنما هو علم من لدن الله سبحانه

وتعالى يقذفه فى قلوب بعض عباده وأصفيائه إما إلهاماً أو وحياً لذا جاء تعظيم شأن هذا العلم بإسناده الى ضمير العظمة مع التأكيد عليه بالمؤكدات العديدة « **آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً** » .

٤ — ذكر فى الآيات السابقة قوله تعالى : « **وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا** » .

وقد جاءت رداً على المشركين الذين تعجلوا العذاب فبين تعالى أن الخيرة فى اختيار الله ومشيئته وأمره وإرادته ولكن الإنسان يغفل عن إدراك حكمة الله العالية فى تصريف شئون الكون .

وجاء فى هذه القصة ثلاث وقائع كان ظاهرها أن العاجلة خلاف المصلحة ولكن عندما كشف النقاب عن السر الإلهى فى ذلك وبرزت الحكمة الدافعة إختلف التقدير والحكم على التصرفات فقد كانت النظرة الظاهرة تقضى بإبقاء السفينة على حالها لمصلحة المساكين وترك الغلام على قيد الحياة أدخل السرور على قلب والديه من قتله وترك الجدار الآيل للسقوط أليق بتصرف أهل القرية البخلاء اللئام عقوبة لهم ولكن حكمة الله سبحانه وتعالى وإرادته وأمره كانت

خلاف هذه الظواهر العاجلة فكانت الآجلة أفضل للمساكين وأقوم للأبوين الصالحين وأحفظ لليتيمين فى القرية .

هذه بعض وجوه المناسبة بين هذه القصة وما قبلها من آيات سورة الكهف وهناك وجوه كثيرة ذكرها بعض المفسرين لا تخلو من تكلف وتمحل فارجع إليها إن شئت .

*** ثانياً — حديث القرآن والسنة عن هذه القصة :**

ذكرت هذه القصة فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ أما الكتاب فقد قال الله تعالى فى سورة الكهف :

« وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا

حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » .

وبعد : فهذا حديث القرآن الكريم عن هذه القصة المباركة وقد جاءت السنة النبوية المطهرة لتفصل ما أجمله القرآن وتوضح ما أبهمه من تفاصيل هذه القصة .

روى البخـارى بسـنده عن سـعيد بن جبـير قـال : قلت لابن عبـاس : أن نوفـا البكالى يزعـم أن مـوسى صاحب الخضر ليس هـو موسى صـاحب بنى إسرائيل • قـال ابن عبـاس : كذب عـدو الله ، حدثنـا أبى بن كعب ـ رضى الله عنـه ـ أنـه سمع رسـول الله ـ ﷺ ـ يقـول : « إن مـوسى قـام خطيبـا فى فى بنى إسرائيل فسـئل اى النـاس أعـلم ؟ قـال أنـا فعتب اللـه عليـه إذ لـم يـرد العـلم إليـه فـأوحى اللـه اليـه إن لى عبـدا بمجمـع البحرين هـو أعـلم منـك ، قـال موسى : يارب وكيف لى بـه ؟ قـال : تأخـد معـك حـوتا فتجعله بمكتـل فحيثمـا فقـدت الحـوت فهـو ثـم ، فأخـذ حـوتاً فجعـله بمكتـل ، ثـم انطـلق ، وانطـلق معـه فتـاه يوشـع بن نون ـ عليـه السـلام ـ حتى إذا أتيـا الصـخرة وضـعا رؤوسهما فنـاما ، واضطرب الحـوت فى المكتـل فخـرج منـه فسـقط فى البحـر فاتخـذ سـبيله فى البحـر سـربا ، وأمسـك اللـه عن الحـوت جـرية المـاء فصـار عليـه مثـل الطـاق فلمـا استيقظ نسى صـاحبه أن يخبـره بالحـوت فانطلقا بقيـة يومهمـا وليلتهما حتى إذا كـان من الغـد قـال مـوسى لفتـاه : « **آتنـا غـداءنا لقـد لقينـا من سفرنا هـذا نصـبا** » ولـم يجـد موسى النصب حتى جـاوز المـكان الذى أمـره الله بـه ، قـال لـه فتـاه : « **أرأيت إذ أوينـا إلى الصخرة فـإنى نسيت الحـوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكـره ، واتخـذ سـبيله فى البحـر عجبـاً** » قـال : فـكان للحـوت سرباً ولمـوسى وفتـاه عجبـاً ، فقـال : « **ذلك ما كنـا نبـغ فارتـدا على آثارهما قصصـا** » •

قال : فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا الى الصخرة ، فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى ، فقال الخضر وأنى بأرضك السلام ، فقال : أنا موسى ، فقال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم قال : أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ، قال : « **إنك ان تستطيع معى صبرا** » يا موسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى :

« **ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا** » .

قال له الخضر :

« **فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا** » . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى : قد حملونا بغير نول فعمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا إمرا « **قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً** » « **قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا** »

قال : وقال رسول الله — ﷺ — : فكانت الأولى من موسى نسياناً — قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين فقال له الخضر : ما علمى وعلمك فى علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على

الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله . فقال له موسى : « **أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا** » « **قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا** » قال : وهذه أشد من الأولى « **قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا** » فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ، أى مائلا فقام الخضر بيده « **فأقامه** » فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا « **لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال : هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا** » .

فقال رسول الله ﷺ : « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما » (١) .

* ثالثا ـ بداية الرحلة والبحث عن العبد الصالح :

تبدأ قصة موسى مع الخضر عليه السلام بقوله تعالى : « **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً قال أرأيت إذ أوينا الى**

---

(١) صحيح البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام جـ ٦ ص ٤٩٩ ، ط. السلفية .

الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا » .

يلاحظ فى هذه الآيات الكريمة أنها لم تذكر الدافع الذى من أجله قام موسى عليه السلام بهذه الرحلة الى مجمع البحرين .

كما يلاحظ أيضا أن المكان الذى بدأت منه الرحلة مجهول وكذلك مكان اللقاء بالعبد الصالح وزمانه ومن هو العبد الصالح وماذا كانت وجهته بعد ذلك ؟ ومجمع البحرين غير معلوم بالتحديد لأحد من المفسرين وقل مثل ذلك فى زمان الحادثة هل كان قبل خروج بنى إسرائيل من مصر أو بعد الخروج وهل وقع قبل التيه أو أثناءه .

وذلك لأن القصص القرآنى لا يهتم بزمان القصة أو مكانها وإنما يعمد الى جوهرها واستخلاص العبر والعظات منها وفى ذلك الاغفال أيضا تنشيط للذهن وتشويق للسامع لمتابعة الأحداث .

ولولا أن السنة النبوية الشريفة أكملت جوانب القصة وألقت الأضواء على بعض التفصيلات فيها لما وجدنا الى العلم الصحيح بها سبيلا .

وفى الحديث السابق بيان لسبب الرحلة وأن موسى عليه السلام سئل عن أعلم أهل الأرض فقال أنا فعتب الله عليه لأنه لم يرد العلم إليه وأخبره أن بمجمع

البحرين عبداً من عباده آتاه برحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً فعزم موسى على السفر إليه فقال لفتاه يوشع بن نون — وهو المشهور عند المفسرين — وكان يخدم موسى ويتبعه ولذلك سماه فتاه (١) « لا أبرح » أى لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملتقى بحر فارس والروم ، وبحر فارس هو ما يسمى اليوم بالبحر الأحمر ، وبحر الروم هو ما يسمى اليوم بالبحر المتوسط .. أو هو مجمع خليجى العقبة وخليج السويس وهو ما يعرف الآن « برأس محمد » .

ولا أزال مسافرا حتى أبلغ هذا المكان أو يمضى على دهر أو مدة طويلة من الزمان قدرها المفسرون بثمانين عاماً . فلما بلغ موسى وفتاه المكان المراد لهما نسيا الحوت الذى كان معهما فى سفرهما . وكان هذا الحوت مملحاً وقد بينت السنة النبوية سبب حمله معهم وهو أن عودة الحياة إليه علامة وصولهم الى مجمع البحرين مكان وجود العبد الصالح ، وقيل لموسى عليه السلام متى فقدت الحوت فستلقى مطلوبك .

وما ذكره بعض المفسرين من أنهم حملوا الحوت ليكون زاداً فى السفر بعيد ، فكيف تكون حياة الحوت علامة على وجود العبد الصالح كما بينت السنة النبوية وفى نفس الوقت يكون زاداً للسفر ؟ . ولا يشكل على ذلك قول الفتى

---

(١) تفسير البيضاوى ص ٢٤٩ ، ط. الجمهورية .

حين سئل عن الغداء (إنى نسيت الحوت) فمن الجائز أن يكون الحوت مع الغداء فى مكتل واحد فعبر عن نسيان الغداء بنسيان الحوت لأنه الأهم والأمر الذى خرجوا من أجله ، فلما جلس موسى وفتاه على الصخرة عادت الحياة الى الحوت فخرج من المكتل ووثب فى البحر ، واتخذ طريقه مسلكاً أى مثل السرب فى الأرض وترك فى البحر نفقاً كالطاق ليكون علامة لموسى وفتاه عند رجوعهما الى هذا المكان وانطلق موسى وفتاه متجاوزين هذه الصخرة ولم يشعرا بالتعب والنصب والحاجة الى الطعام إلا بعد مضى بقية اليوم وليلة كاملة من الحادثة ولم يخطر ببال الفتى نسيان الحوت إلا عند ذكر الغداء الذى كان بالمكتل والشىء بالشىء يذكر .

ولما أحس موسى بوطأة الجوع على نفسه قال لفتاه « آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » وعند ذلك تذكر الغلام ما كان من أمر الحوت فقال : « أرأيت إذا أوينا الى الصخرة فإنى نسيت الحوت » أى نسيت أن أذكر لك عودة الحياة إليه وخروجه من المكتل وذهابه فى البحر فلم يثر ذلك شيئا من الغضب فى نفس موسى عليه السلام وإنما قابله بالارتياح والرضا وأدرك أنه قد وصل الى ضالته المنشودة وقال لغلامه « ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً » أى ذلك الذى ذكرت من أمر الحوت « ما كنا نبغ » أى الذى كنا نطلبه من حيث أنه أمارة للفوز بما هو المطلوب بالذات « فارتدا على آثارهما قصصاً » أى رجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا الى الصخرة .

وفى هـذا الجـانب من القصـة من روائـع البيان وأسـرار التعبـير مـالا يخفى ففى التعبـير عن خـادم موسى بـ (فتـاه) ما يرشـد الى الأدب الإسلامى الرفيع فى مخاطبة الخـدم ومناداتهم بالأسماء المحببـة إليهـم وفى الحـديث « لا يقـل أحدكم عبـدى وأمتى وليقـل فتـاى وفتـاتى » (٢) .

كمـا أن فى قـوله تعـالى على لسـان موسى عليه السلام لفتـاه : (آتنـا غـداءنا) ولـم يقـل غـدائى إشـعار بأنـه لا فـارق بينـه وبين خادمه فى طعـامه وفى الحـديث (أطعموهم ممـا تأكـلون) .

ونسـبة النسيان إليهمـا معـاً فى قـوله (نسـيا حوتهمـا) مـع أن الفتى هـو الذى نسى الحـوت إشـعار بأن الرفقـاء فى السـفر يتضامنون فى تحمـل المسئولية ولـو كـان الخطـأ أو النسيان من فـرد واحـد .

وفى قـوله تعـالى « وما أنسانيه إلا الشيطان » أدب قـرآنى رفيـع حيث نسـب الإنسـاء الى الشيطان ولـم ينسبه الى الرحمن مع أنـه تعـالى هـو الفـاعل الحقيقى لـكل ذلك تنزيهاً لـه تعالى من نسـبة الشـر إليـه وذلك عـلى حـد قـوله تعـالى : « **وإذا مرضـت فهـو يشـفين** » (٣) .

---

(٢) رواه الامـام احمـد فى مسـنده جـ ٢ ص ٤٤٤ ، الامـام مسلم فى صحيحه كتـاب الألفـاظ من الأدب جـ ٧ ص ٤٦ .

(٣) سـورة الشعراء آيـة : ٨٠ .

رابعاً — لقاء موسى بالعبد الصالح وما دار بينهما من حوار :

قال تعالى : « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً » .

ولما رجع موسى وفتاه يقصان أثر أقدامهما ووصلا الى الصخرة التى نسيا عندها الحوت وجدا رجلا نائماً هنالك جاعلا طرف ثوبه تحت رأسه والطرف الآخر فوق جسمه ولما سلم عليه موسى رد الخضر عليه السلام ثم قال له من أنت قال له أنا موسى قال : موسى نبى بنى إسرائيل قال نعم فمن عرفك بى قال الذى بعث بك إلى .

ويعبر القرآن الكريم عن لحظة اللقاء بقوله تعالى : « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » .

قال الألوسى :

« الجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء وقد تحسر وكسر الضاد وقد تسكن ، وقيل اليسع وقيل ملك من

الملائكة وهو قول غريب باطل كما فى شرح مسلم والقول الذى تشهد له الأخبار الصحيحة هو الأول والخضر لقبه ولقب به — كما أخرج البخارى وغيره عن رسول الله ﷺ — لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من خلفه خضرا » (١) .

والرحمة التى أوتيها الخضر عليه السلام قيل إنها النبوة او الوحى أو الرزق الحلال أو العزلة أو طول الحياة مع سلامة البنية والجمهور على أنها الوحى والنبوة وقد أطلقت على ذلك فى مواضع من القرآن الكريم .

وفى وصف هذه الرحمة بكونها من عند الله ما يدل على تعظيم شأنها وتفخيم أمرها .

وقوله « وعلمناه من لدنا علما » أى علما لا يعرف إلا من جهتنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيب .

والآية الكريمة فيها تفخيم لشأن العبد الصالح . ففى وصفه بالعبودية وهى منتهى درجات الكمال الإنسانى وإيتائه رحمة من عند الله وتعليمه العلم اللدنى وإسناد هذه الألفاظ الى ضمير العظمة (عبادنا .. آتينا — عندنا — علمنا — لدنا) ما يشير الى تكريمه وتوقيره وإضفاء مزايا جليلة على مكانته .

---

(١) تفسير الألوسى جـ ١ ص ٣١٩ ، ط. دار احياء التراث العربى بيروت — والحديث اخرجه البخارى فى كتاب احاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام جـ ٦ ص ٤٩٩ ، ط. السلفية .

ليستشرف مـوسى عليـه السـلام الى ما عنـده من العـلوم ولهذا عـدل عن نفى الصـبر الى نفى استطاعته وكـأنه يقـول لـه إنى مطـلع على أحـوالك وقدرتك على الاحتمال فوجدتك بعـد المعاينة أنـك لا تستطيع الصـبر •

وكـان رد مـوسى عليـه السـلام « ستجدنى إن شـاء الله صـابرا ولا أعصى لك أمـرا » وعند ذلك شـارطه الخضـر عليـه السـلام فقـال « فـإن اتبعتنى فـلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منـه ذكـراً » •

أى فـلا تفاتحنى بالسـؤال عن شىء أنكـرته منى حتى أبـدأك أنـا بـه قبـل السـؤال • وفى ذلك أدب رفيـع فـإن اعتراض الطـالب على المعـلم قـد يحـرمه الاستفادة من عـلومه •

❊ ذلـة قـدم :

وبعـد أن عرضـنا لشـرح هـذا الجـزء من الآيات يجـدر بنـا أن نشـير الى ما انزلق فيـه كثـير من النـاس فقـد استعظم قـوم أن يكـون مـوسى الذى تتحـدث عنـه الآيات هو موسى النبى فقـالوا كمـا قـال اليهـود إن مـوسى المذكـور فى القصة ليس مـوسى بن عمـران رسـول الله • وقـد رد عليـه ابن عباس رضى الله عنهمـا وبين كذبه كمـا مـر • والذى دفعهـم الى القول بذلك أن تلقى مـوسى عن الخضـر واتبـاعه لـه فيـه تحقـير من شـأنه وازدراء لأمـره وهـو أمـر لا يليـق بمـوسى نبى الله ورسـوله وضـل قـوم آخـرون حيث اعترفـوا بأن موسى صاحب الخضـر هـو موسى النبى ولكنهم قـالوا بأن الخضـر الذى هـو

ولى أفضل من موسى الذى هو نبى وعمموا هذه القضية فقالوا إن الولى أفضل من النبى وشبهتهم فى ذلك أن موسى عليه السلام ذهب يتلقى العلم عن الخضر فكان الخضر أستاذاً له والأستاذ أفضل من التلميذ ولم يكتفوا بهذه المقالة الشنعاء والضلالة العمياء بل ذهبوا الى ماهو أبعد من ذلك فقالوا إن الولى قد يصل الى مرتبة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبى مرسل وهذه ضلالة وجهالة فالأولياء أتباع الأنبياء والولى أحد المتلقين لشرائع الله عن طريق النبى فكيف يكون أفضل من النبى نفسه أو تكون مرتبته أعلى من مرتبة النبى •

وقد ذهب ابن حجر فى فتح البارى الى كفر القائلين بهذا القول لمخالفتهم أمرا معلوما من الدين بالضرورة •

والقول الحق فى ذلك أن الخصوصية لا تقتضى الأفضلية ولا مانع من أن يتلقى الأفضل من الفاضل وليس فى ذلك قدح فى منزلة المتلقى وتحقير له وموسى عليه السلام أفضل من الخضر باتفاق العلماء لأنه نبى ورسول وأحد أولى العزم من الرسل إصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه واصطنعه لنفسه ورباه على عينه •

والخضر عليه السلام مختلف فى نبوته وعلى القول بأنه نبى فموسى أفضل منه لأنه نبى ورسول وليست المسألة من أعلم موسى أم الخضر ؟ ولكن المسألة كما

حددها الخضر عليه السلام هذا على علم لا يعلمه ذاك وذاك علم لا يعلمه هذا .

* خامسا ـ الأحداث العجيبة والأفعال الغريبة التى فعلها الخضر عليه السلام :

وبعد موافقة موسى على شرط الخضر عليهما السلام إنطلق الركب الكريم دون تحديد وجهة معينة أو مقصد معروف وقد كانت الرحلة مطلقة متروكة لمجريات الأحداث حسب تقدير العزيز العليم ويصل الركب الكريم الى شاطىء البحر ويركب موسى والخضر عليهما السلام سفينة لمساكين يعملون فى البحر ينقلون الناس على هذه السفينة لقاء أجر معلوم وكانوا يعرفون الخضر عليه السلام فحملوه وصاحبه من غير أجر تكريماً وتقديرا والذى يدل على أنهم كانوا يعرفون الخضر عليه السلام عدم اعتراضهم على خرقة السفينة ثم انزوى الخضر عليه السلام الى ناحية من السفينة وخلع منها لوحاً ولم يملك موسى نفسه من الغضب وسرعان ما أنكر عليه فعلته قائلا « أخرقتها لتغرق أهلها » فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها وهو مفض لغرق أهلها « لقد جئت صيئاً إمراً » أى فعلت فعلا عظيماً منكراً .

وكان خرق السفينة أمرا عظيما لأنه يفضى الى غرق ركابها الأبرياء وهو إتلاف لمال الغير واعتداء لا مبرر له وفضلا عن ذلك فأصحاب السفينة مساكين تستدر حالهم العطف والشفقة وقد حملوهما بغير نول .

ومن ثم كان هذا الفعل بحسب الظاهر منكرا يستحق اللوم والاعتراض ولكن الخضر عليه السلام ينظر الى الأمر من زاوية أخرى هى زاوية الحكمة العليا والمصلحة الآجلة وارتكاب أخف الضررين وعند ذلك ذكره الخضر عليه السلام بالشرط المتقدم « ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا » .

ويتذكر موسى عليه السلام العهد الذى قطعه على نفسه فتهدأ ثورته ويتوجه الى الخضر معتذرا « لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا » أى لا تضيق على بالمؤاخذة فإن ذلك يعسر على متابعتك . وقد يقال : كيف نسى موسى عليه السلام فى هذا المقام الدقيق مع أنه لم يخرج إلا لتحصيل العلم الراشد وهو لا يتوصل إليه الا بعدم الاعتراض ؟ والجواب أن تحصيل أى علم كبر أو صغر ، طال الوقت أو قصر ، متوقف على مشيئة الله وإرادته ولا يستطيع العبد أن يتوصل الى ذلك إلا بتوفيقه ورضاه . وكمال قال القائل :

إذا كان عون الله للعبد مسعفاً

تأتى له من كل شىء مراده

وإن لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجنى عليه إجتهاده

وبعد اعتذار موسى عليه السلام عن نسيانه وطلبه السماح من صاحبه والتغاضى عما بدر منه وأن لا يؤاخذه فيشق عليه الأمر وتعسر عليه متابعته ، أنطلقا — الخضر

ومعه موسى عليهما السلام — وفى طريقهما مرا على غلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام منهم هو أضوؤهم وجهاً وأجملهم مظهرا فاحتز رأسه واقتلعه وأزهق روحه .

وهنا تثور ثورة موسى عليه السلام ويشتد غضبه وينفد صبره وينكر على الخضر فعلته ، طفل برىء جميل يقتله الخضر أبشع قتلة يقتلع رأسه فجأة هكذا ! ما هذا ؟

هذا شىء فوق احتمال العقول ، ولئن كان خرق السفينة إتلافاً للمال وتسبباً فى إغراق من فيها ، وهو أمر لا تقره العقول السليمة والفطر المستقيمة . فإن قتل الغلام الذى لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه القلم ، أمر عظيم وذنب كبير يستحق الإنكار ويستوجب الاحتجاج والاعتراض .

ومن هنا قال موسى معترضاً محتجا « أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً » .

ولئن كانت الأولى نسياناً فلا نسيان هنا وإنما هو العمد والقصد كما قال خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام (فكانت الأولى من موسى نسياناً والثانية عمدا والثالثة فراقاً) .

ويقابل الخضر احتجاج موسى واعتراضه بشدة وعنف ويذكره بعهده فيقول « ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا » . ألم أقل لك أنت بالذات يا موسى وليس لغيرك ومع ذلك تعترض على المرة تلو الأخرى .

وهـذا تأكيـد من الخضـر فى التذكـار بالشـرط الأول ومن أجـل ذلك زاد فيـه (لك) مكافحة بالعتـاب على رفضه الوصـية

وأيقـن مـوسى أن هـذا العـلم الغيبى لا طـريق إليـه بالكسـب والاجتهـاد وإنمـا هـو منحـة إلهيـة وفيوضات ربانية يفيضها الله على من شـاء من عبـاده يختص برحمتـه من يشـاء والله ذو الفضـل العظيـم •

ومن هنـا رغب فى الفـراق لا رغبـة عن صـاحبه وإنمـا أخـذه الحيـاء من تصرفاته مع العبـد الصـالح • ولكن ليس من الأدب أن ينسحب الطـالب وكـأنه يرغب عن معلمـه ومن هنـا أعطى المبـرر للأستاذ فى اتخـاذ قـرار الفـراق فعـلق الفـراق على واقعـة أخـرى يظهـر فيهـا عـدم صـبر مـوسى عليـه السـلام فقـال « إن سألتك عن شىء بعدهـا فـلا تصاحبنى قـد بلغت من لدنى عـذرا » •

ثـم يصلان الى قـرية يستطعمان أهلهـا لمـا بهمـا من جوع غـأبوا ن يضيفوهما « فوجـدا فيهـا جـداراً يريـد أن ينقض فأقـامه » •

أهـل قـرية لئـام بخـلاء رفضـوا إيـواء مـوسى والخضر وتقـديم أى طعـام إليهمـا ثـم هاهـو الخضـر يشغل نفسـه بإصلاح جـدار قـديم وإعـادة بنـائه كـأن لـم يحدث منهـم إسـاءة إليهمـا •

ونفـد صـبر مـوسى فـلا يسـع مـوسى إلا أن يقـول « لـو شئت لاتخـذت عليـه أجـراً » ، وهـذا كلـه ينبئنا عمـا

كان يتصف به موسى من إحساس مرهف وقوة فى الحق وحدة فى المزاج وهذه صفات خيرة تدل على اليقظة وطيب العنصر .

إنه يمثل ذلك النموذج من الرجال المخلصين الذين تأخذهم الحدة عند مجابهة الأحداث المخالفة لما يرونه من الصواب والحق .

ولكن سرعان ما يراجعون أنفسهم عندما يذكرون بالحق وتظهر لهم الصواب .

*** سادسا ــ الفراق وتأويل التصرفات الغريبة :**

وبعد اعتراض موسى عليه السلام المرة الثالثة على ما فعله الخضر عليه السلام أعلن الخضر لحظة الفراق كما طلب موسى عيه السلام قبل ذلك فقال : « هذا فراق بينى وبينك » ، ولكنه قبل أن يفارق موسى ذكر له سر هذه الأفعال الغريبة ووجه الحكمة الإلهية فى ذلك، حتى لا يتركه فى حيرة من أمره فقال : « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » وبدأ ببيان الحكمة فى خرق السفينة فقال : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » .

ظاهر الفعلة أنها فعلة قبيحة ولكن سرها أنها رحمة للمساكين فيما بعد . فقد كان وراءهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة غصباً ، وكانت سفينتهم معرضة للحجز والغصب . وخرق السفينة يجعل هذا الملك يعرض عن

مصادرتها فتبقى للمساكين يرتزقون منها ولو تركت سليمة لخسروها تماماً وفاتتهم بالكلية •

وكأين من واقعة يصدم أهلا فى حين وقوعها ولو قد اطلعوا على سرها لسلموا تسليما •

ثم ذكر وجه الحكمة وسر القدر فى قتل الغلام فقال :

« وأما الغلام فكان أبوه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا • فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما » • صحيح أن قتل طفل قبيح أشد القبح عقلا ولكن السر أن هذا الطفل كان سيكون مجرما فقد طبع يوم طبع كافرا ، وكان الأبوان المؤمنان الصالحان متعلقين بهذا الغلام تعلقاً شديدا ولو بقى الغلام حيا لأوردهما المهالك فلا يمكان رده عن كفره وغيه ولا يستطيعان هجره ومقاطعته لما فى قلبيهما من الحب الشديد له ، ومن هنا تم القضاء عليه رحمة بأبويه وأبدلهما الله خيرا منه براً ورحمة •

وحزن ساعة وأيام خير لهما من عذاب النيران . فكان قتل الغلام تكريما للأبوين الصالحين ورحمة بهما وشفقة عليهما وهو أيسر من أن يكلفا بقتله بأيديهما •

والذى يستضىء بنور الله يرى أن لله فى كل قضاء حكمة وإن خفيت على العقول كما قال تعالى : « **وعسى أن تكرهوا**

شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ثم بين الخضر عليه السلام وجه الحكمة من إقامة الجدار فقال :

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » .

لقد كان الجدار الذى أقامه الخضر عليه السلام ملكاً لطفلين يتيمين فقدا حنان الأب ورعايته منذ الصغر . تركهما أبوهما وديعتين عند من لا تضيع عنده الودائع وكان أبوهما صالحاً .

— قيل كان بينهما وبين الأب الذى حفظا به سبعة آباء وكان نساجاً — وكان تحت الجدار كنز لهما ، وكان الجدار آيلا السقوط ولو سقط الجدار والغلامان على هذا الحال من الضعف وهما يعيشان بين أهل القرية اللئام لضاعت ثروتهما وضاعت الوديعة ومن هنا قيض الله لهذين الغلامين من يقيم لهما هذا الجدار حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما وكان ذلك رحمة من الله تعالى بالغلامين اليتيمين وليس هذا وضع للمعروف فى غير موضعه كما يظن موسى عليه السلام فى بداية الأمر قبل أن يعرف الحقيقة .

وكان من عظيم رحمة الله بعباده أن يستعمل نبيين كريمين مثل موسى والخضر عليهما السلام فى حفظ مصالح الغلامين اليتيمين ليلجأ عباده إليه ويتوكلوا عليه حق التوكل .

فإن من توكل على الله كفاه ومن سأله أعطاه ، ومن استغنى به أغناه وهو سبحانه لا تضيع ودائعه ، ولو ترك اليتيمين لأهل القرية اللئام لتزعزعت ثقة الصالحين بربهم ، ويقين المتوكلين بخالقهم وفى ذلك دليل على أن الله تعالى يحفظ الذرية بصلاح الآباء .

هذه نماذج ثلاثة ليتعلم الناس جميعا من خلالها أن لكل شىء يقع فى الكون حكمة يعلمها الله فينبغى التسليم لله واليقين بأنه أحكم الحاكمين .

ولو قد صبر موسى عليه السلام لسمعنا عشرات النماذج فى هذا السبيل . ولكن فى هؤلاء الثلاثة كفاية لمن أراد الدراية ثم ينهى الخضر صحبته لموسى عليهما السلام ويبين له أن هذه التصرفات العجيبة لم تكن باجتهاده ورأيه وإنما هى بأمر الله ووحيه ، ويتركه مودعاً له بقوله :

« وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً » .

وهكذا يعود موسى عليه السلام من رحلته بعلم نفيس وكنز وفير من الحقائق اللدنية ليتم مسيرة الكفاح والجهاد مع بنى اسرائيل وقد تحقق من مجالات العلم الذى لا يحيط به أحد غير الله عز وجل وأن الأمور جارية فى هذا الكون بمقتضى الحكمة الإلهية وحسب موازين ربانية .

وبعد هذا العرض المجمل لقصة موسى والخضر عليهما السلام يجد ربنا أن نتعرض لمسألتين هامتين :

الأولى : خلاف العلماء فى نبوة الخضر عليه السلام

الثانية : خلاف العلماء فى حياة الخضر أو موته .

* أولا — نبوة الخضر عليه السلام :

اختلف العلماء فى نبوة الخضر عليه السلام : —

فمنهم من قال إنه نبى .

ومنهم من قال إنه رجل صالح وولى من أولياء الله تعالى .

أما القائلون بنبوته فقد استدلوا بأدلة كثيرة نعرض لأهمها :

١ — أن الله تعالى يقول : « **آتيناه رحمة من عندنا** » .

والرحمة هى النبوة بدليل قوله تعالى : « **أهم يقسمون رحمة ربك** » (١) حيث جاءت هذه الآية رداً على المشركين حين اعترضوا على نبوة النبى ﷺ وقالوا « **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » (٢) فدل هذا على أن المراد بالرحمة هنا النبوة فالله أعلم حيث يجعل رسالته .

ومن الأدلة أيضاً على أن المراد بالرحمة النبوة قوله تعالى : « **وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك** » (٣) .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣٢ .
(٢) الزخرف آية : ٣١ .
(٣) القصص آية : ٨٦ .

ونقـول : إن تخصيص الرحمـة بالنبـوة هنـا تخصيص بغير مخصص وهـذا لا يجوز . مـع أننـا نسـلم بأن النبـوة رحمـة ولكننـا لا نسـلم أن كـل رحمـة نبـوة فالرحمة أعـم من النبوة وهى شاملة لجميـع النعـم وضروب الآلاء فالعـلم رحمـة والرزق رحمـة والهـداية رحمـة ... الـخ ، فمـا الذى يخصص الرحمة هنـا بالنبـوة .

قـال البقـاعى :

« قـال الحـرانى : المـراد بالرحمـة فى (آتيناه رحمـة من عنـدنا) ما ظهـر من كراماته وبالعـلم البـاطن الخفى المعـلوم قطعـا أنـه خـاص بحضرته سـبحانه » (٤) .

٢ — قـوله تعـالى : « وعلمنـاه من لدنـا علمـا » . يقتضى أن الله سبحانه وتعـالى عـلم الخضـر عليـه السـلام لا بواسطة معـلم ولا بإرشـاد مرشـد ومن كـان هـذا شـأنه لابـد أنـه قـد تلقى علمـه بوحى من الله تعـالى .

ونقـول : إن هـذا ليس نصـاً قطعيـا فى الدلالة على كـونه نبيـاً وقـد قـال الخضـر لمـوسى عليهما السلام عند أول لقائهما يا مـوسى إنى على عـلم من عـلم الله علمنيـه الله لا تعلمه وأنت على عـلم من عـلم الله علمكه الله لا أعلمـه وما المـانع أن يكون عبـداً ربانيـاً تلقى هـذا العـلم عن طـريق الإلهام والمكاشفة ؟

٣ — فى قـول مـوسى للخضـر عليهمـا السلام « هـل أتبعك

---

(٤) نظـم الدرر للبقاعى جـ ١٢ ص ١٠٦ .

على أن تعلمنى ممـا علمت رشـدا » ما يدل على أن الخضـر نبى لأن مـوسى عليـه السلام قـد جعـل نفسـه تابعـاً لـه والنبى لا يتبـع غـير النبى فى التعليم لأن فى تبعيتـه لغـير الأنبيـاء غـض من شـأنه وحـط من قـدره وهـو مشـعر بأن غـير النبى أكمـل منـه فى علمـه وهـذا يوجب التنفـير منـه •

ونقـول : ليس فى الآيـة دليـل على نبـوته فـإن اتبـاع النبى لغـيره ممنـوع فى العـلوم التى يكـون بهـا نبيـاً أمـا غيرهـا من العـلوم الكونية والتجريبية والغيبية وسـائر الصناعات والحـرف فـلا مانـع من اتبـاع النبى لغـيره فى مثـل هـذه العـلوم واتبـاع موسى للخضـر ليس فى عـلوم تتوقف عليهـا النبـوة ويظهـر هـذا جليـاً فى مسألة تأبـير النخـل فـإن النبى ﷺ قـال لهـم بعـد أن اجتهـد وخالف قـوله الواقـع « أنتـم أعـلم بأمـور دنيـاكم » وكـان ﷺ يستشير أصـحابه وينـزل على رأيهـم فى كثـير من الأمـور •

٤ ـ قـالوا إن هـذا العبـد الصـالح قـد أظهـر الترفـع على مـوسى حيث قـال لـه : (وكيف تصـبر على ما لـم تحـط بـه خبـرا) وموسى عليـه السلام قـد أظهـر التواضع لـه حيث قـال : « ستجدنى إن شـاء الله صـابرا ولا أعصى لك أمـرا » ولـو لـم يكن نبيـاً لمـا تواضع لـه موسى عليـه السلام هـذا التواضـع الجـم ونقـول : ليس فى هذا دليـل على نبـوة الخضر عليـه السـلام فـإن تواضـع موسى عليـه السـلام لـه من باب تقـدير العـلم وخفض الجنـاح للعلمـاء وهضـم حظ النفس

وقد خوطب سيد ولد آدم وأفضل الأنبياء والمرسلين بقول الله تعالى . « واخفض جنحك لمن اتبعك من المؤمنين » فالتواضع وخفض الجناح لا يدل على أفضلية المتواضع له .

قال القرطبى :

« فى هذه الآية دليل على أن المتعلم يتضع للعالم وإن تفاوتت المراتب ولا يظن أن فى تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول والفضل لمن فضله الله فالخضر إن كان ولياً فموسى أفضل منه لأنه نبى والنبى أفضل من الولى وإن كان نبيا فموسى فضله الله بالرسالة والله أعلم » (٥) .

٥ ــ احتجوا بقوله تعالى « وما فعلته عن أمرى » على كونه نبياً فإن هذا يدل على أنه أوحى اليه القيام بهذه التصرفات أى فعلت ما فعلت من الأمور التى تعجبت منها عن أمر الله ووحيه .

واستدلوا أيضا على نبوة الخضر عليه السلام بما ورد فى الحديث أن موسى عليه السلام عندما التقى به قال : السلام عليك قال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل فقال موسى عليه السلام من عرفك هذا ؟ قال الذى بعثك إلى ، وهذا يدل على أنه عرف ذلك بالوحى والوحى لا يكون إلا مع النبوة .

---

(٥) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٤١٧٠ ، ط. دار الغد .

الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير » (٧) ·

وقال تعالى : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » (٨) ·

وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعى واليقين الضرورى واجتماع السلف والخلف على أنه لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التى هى راجعة الى أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه الى سؤال ولا جواب ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام الذى قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلا نبى ولا رسول وبيان ذلك أن من قال إنه يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه وأنه لا يحتاج مع ذلك الى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام « إن روح القدس نفث فى روعى » (٩) ··· انحديث » (١٠) ·

* ثانيا — موت الخضر عليه السلام :

وكما اختلف العلماء فى نبوة الخضر قد اختلفوا أيضا فى موته أو بقائه حيا الى اليوم أو الى يوم القيامة ·

---

(٧) سورة الحج آية : ٧٥ ·
(٨) سورة البقرة آية : ٢١٣ .
(٩) انظر تفسير القرطبى ج ٢ ص ٤٢١٠ ، ط. دار الغد .
(١٠) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابى امامة — مجمع الزوائد للهيثمى ج ٤ ص ٧٢ ·

أمـا القائلون بمـوته فهـم جمهـور العلمـاء من المحـدثين والفقهـاء وقـد استدلوا على ذلك بمـا يلى :

١ ــ قوله تعالى : « وما جعلنا لبشـر من قبلك الخـلد أفـإن مـت فهـم الخـالدون »(١) .

وظاهـر هـذه الآيـة يدل على أن الخضـر قـد مـات لأن كلمـة « بشـر » نكـرة فى سـياق النفى فهى تعـم الخضر وغـيره من البشـر ويلـزم من ذلك نفى الخـلد عن كـل بشـر من قبـله ﷺ والخضـر بشـر من قبله فـلو كـان شـرب من عين الحيـاة ــ كمـا يقـولون ــ وصـار حيـاً الى يـوم القيـامة لكان اللـه قـد جعـل لذلك البشـر الذى هـو الخضـر من قبـله ﷺ الخـلد والحيـاة وهـذا مخـالف لظاهـر الآيـة الكريمـة .

٢ ــ قـول الرسول ﷺ يـوم بـدر « اللهـم إن تهـلك هـذه العصـابة من أهـل الإسـلام لا تعبـد فى الأرض» (٢) .

فـدل هـذا على أنـه لا يعبـد الله أحـد على الأرض غيرهم ولـو كـان الخضـر حيـاً لمـا صـح هـذا الإطـلاق .

قـال صـاحب أضـواء البيـان :

« أمـا الحـديث الشـريف الذى يستدلون بـه على عـدم حيـاة الخضـر وهـو قـوله عليـه الصـلاة والسلام : اللهـم إن تهـلك هـذه العصـابة لا تعبـد فى الأرض » فهـو فعـل

---

(١) سـورة الأنبيـاء آيـة : ٣٤ .
(٢) انظـر صحيح مسـلم كتـاب الجهـاد ص ١٥٦ .

فى سياق النفى بمعنى لا تقع لك عبادة فى الأرض فهذا النفى يشمل بعمومه وجود الخضر حياً فى الأرض لأنه على تقدير وجوده حياً فى الأرض فإن الله — عز وجل — يعبد فى الأرض على فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام لأن الخضر مادام حياً فهو يعبد الله فى الأرض وهذا مخالف لظاهر الحديث أيضاً ومن هنا كان القول بموته أقوى من القول بحياته » (٣) .

وذكر الألوسى وجهاً آخر فى الاستدلال بهذا الحديث على موت الخضر عليه السلام فنقل عن ابن تيمية قوله :

« لو كان الخضر حياً اوجب عليه أن يأتى الى النبى ﷺ ويجاهد بين يديه ويتعلم منه وقد قال النبى ﷺ يوم بدر . اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض » فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فأين كان الخضر حينئذ » (٤) .

٣ — حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء فى آخر حياته وفى رواية قبل موته بشهر فلما سلم قام فقال : « أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى

---

(٣) اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن جـ ٤ ص١٦٣ ط. بيروت بتصرف يسير .

(٤) روح المعانى للالوسى جـ ١٥ ص ٣٢٠ .

ممن هـو على ظهـر الأرض أحـد » (٥) .

قـال الشـيخ الشنقيطى :

« يوجـه العلمـاء هـذا الحـديث بأنـه لـو كـان الخضر حيـاً فى الأرض لمـا تأخـر بعـد المـائة المذكـورة وخصوصا أن الرسول ﷺ أكـد هـذا الحـديث بالقسـم فى بعض روايـات الحـديث وهـو ما رواه الامـام مسـلم بسـنده عن جـابر بن عبد الله رضى الله عنـه قـال : سمعت النبى ﷺ يقـول قبـل أن يمـوت بشـهر تسألونى عن السـاعة وإنمـا علمهـا عند الله وأقسـم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتى عليهـا مـائة سـنة فقـوله ﷺ « نفس منفوسة » نكـرة فى سـياق النفى فهى تعـم كـل نفس مخـلوقة على الأرض ولاشـك أن ذلك العمـوم بمقتضى اللفـظ يشـمل الخضـر لأنـه نفـس منفوسـة عـلى الأرض » (٦) .

٤ — قول الرسول ﷺ « لـو كـان مـوسى حيـاً ما وسعه إلا اتبـاعى » .

ومعنى هـذا أنـه مـادام مـوسى عليـه السـلام ملزمـاً باتبـاع رسـول الله ﷺ واجتمـاعه بـه لـو كـان حيـاً فى وقتـه وكـذلك الخضـر لـو كـان حيـاً لـكان ملزما بالإيمـان بـه واتبـاعه ﷺ ونصـرته والقتـال معـه وحضـور الجمعـة

---

(٥) صحيح البخـارى تقـديم احمـد محمد شـاكر كتـاب العـلم باب السـمر فى العـلم جـ ١ ص ٤٠ ، ط. دار الجيـل — بـيروت .

(٦) اضـواء البيـان جـ ٤ ص ١٦٣ .

والجماعة ولم يثبت فى ذلك حديث صحيح يجب اتباعه عن المعصوم ﷺ وقد أخذ الله سبحانه وتعالى الميثاق على النبيين وأممهم أن يؤمنوا برسول الله وينصروه إذا أدركوا زمن بعثته كما فى قوله تعالى : **« وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالو أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين »** (٧) .

٥ ـ قال ابن حجر فى تعليقه على حديث الخضر عليه السلام : « قال ﷺ « رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما » فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمنى ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لاسيما أهل الكتاب » (٨) .

* أما القائلون بحياة الخضر كالقرطبى والنووى وابن الصلاح والنقاش وجمهور الصوفية فقد استدلوا بما يلى :

١ ـ ذكر ابن عبد البر فى كتابه **التمهيد لما فى الموطأ** من المعانى والأسانيد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله ﷺ وسجى بثوب هتف هاتف من ناحيه البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه : السلام

---

(٧) سورة آل عمران آية : ٨١ .

(٨) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٥٠١ ، ط. الريان .

عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم أهل البيت « كل نفس ذائقة الموت » .. الآية ، إن فى الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب وكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام يعنى أصحاب النبى ﷺ » (٩) .

وقد رد العلماء الاستدلال بهذا الحديث .

قال ابن حجر : « وفى إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واه » (١٠) .

وقال صاحب أضواء البيان :

« والاستدلال على حياة الخضر بآثار التعزية كهذا الأثر مردود من وجهين :

الأول : أنه لم يثبت ذلك بسند صحيح كما حكى ابن كثير .

الثانى : أنه على فرض أن حديث التعزية صحيح لا يلزم من ذلك عقلا ولا شرعاً ولا عرفا أن يكون ذلك المعزى هو الخضر بل يجوز أن يكون غير الخضر من مؤمنى الجن لأن الجن هم الذين قال الله فيهم : **« إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم »** (١١) ودعوى أن ذلك المعزى هو الخضر تحكم بلا دليل وقولهم كانوا يرون أنه

---

(٩) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة ، تفسير الألوسى جـ ١٥ ص ٣٢٢ ، المستدرك للحاكم جـ ٣ ص ٥٨ .

(١٠) فتح البارى جـ ٦ ص ٥٠١ ، ط. الريان .

(١١) سورة الأعراف آية : ٢٧ .

الخضر ليس بحجة يجب الرجوع إليها لاحتمال أن يخطئوا فى ظنهم ولا يدل ذلك على إجماع شرعى معصوم ولا تمسك لهم فى دعواهم أنه الخضر كما مر » (١٢) .

ونقول : كيف يعقل أن يأتى الخضر معزيا فى رسول الله ﷺ عليه وسلم بعد وفاته ولا يأتى إليه متبعا له حال حياته .

٢ ـ قال أبو السعود :

« إختلفوا فى حياة الخضر عليه السلام فقيل حى وسببه أنه كان على مقدمة ذى القرنين فلما دخل الظلمات فأصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد » (١٣) ، وعين الحياة هذه التى يستدل بها من قال بحياة الخضر لم يثبت فيها حديث صحيح صريح مرفوع الى النبى ﷺ .

يقول الألوسى فى ذلك :

« ... وذكر هذا الماء وأنه ما أصاب منه شىء إلا حيى وأن الحوت أصاب منه جاء فى صحيح البخارى فيما يتعلق بسورة الكهف ـ أيضا ـ لكن ليس فيه أنه من شرب منه خلد فى بعض الروايات السابقة » (١٤) .

---

(١٢) اضواء البيان جـ ٤ ص ١٦٣ .

(١٣) ارشاد العقل السليم لأبى السعود جـ ٣ ص ٢٦٣ ، ط. المصرية .

(١٤) روح المعانى للالوسى جـ ١٥ ص ٣١٤ .

« ولعل هذه العين إن ثبت النقل فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل من الاسرائيليات » (١٥).

ونخلص من هذا الى أن الاستدلال على حياة الخضر بشرب به من عين الحياة لا ينهض دليلا على معارضة الأدلة القوية السابقة التى تفيد موته .

٣ — ومن الأدلة التى استند إليها القائلون بحياة الخضر : إجتماعه بالنبى ﷺ ومشاهدات الناس له فى كل عصر ولقاؤهم به فى أنحاء الأرض مما يؤكد استمرار حياته .

قال القاسمى نقلا عن النووى فى التهذيب :

« قال الأكثرون هو حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله ووجوده فى المواضع الشريفة أكثر من أن تحصى وأشهر أن تذكر » (١٦) .

وقد رد العلماء هذا الاستدلال فبالنسبة لاجتماعه مع النبى ﷺ يقول صاحب فتح البارى :

« وجاء فى اجتماعه — أى الخضر — مع النبى ﷺ حديث ضعيف أخرجه ابن عدى من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده : أن النبى ﷺ سمع فى المسجد

---

(١٥) فتح البارى جـ ٨ ص ٢٦٨ ، ط. الريان .
(١٦) محاسن التأويل للقاسمى جـ ١١ ص ٤٠٩٢ .

كلاماً فقال : يا أنس اذهب الى هذا القائل فقل له : يستغفر لى ، فذهب اليه فقال : قل له : إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهور قال : فذهبوا ينظرون فاذا هو الخضر » .

يقول صاحب الفتح : إسناده ضعيف وروى ابن عساكر من حديث أنس نحوه باسناد أوهى منه » (١٧) .

أما ما جاء من أن بعض الصالحين أيضا رأوه واجتمعوا به فقد أنكر العلماء هذا وقالوا كيف يعرف من رآه أنه الخضر فهل للرائى تصديق ذلك ؟

قال القاسمى :

« وقال البخارى وطائفة من أهل الحديث أنه مات وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، وأما رواية اجتماعه مع النبى ﷺ وتعزيته لأهل البيت فلا يصح من طرقها شىء ولا يثبت اجتماعه مع أحد من الأنبياء الا مع موسى وجميع ما ورد فى حياته لا يصح منه شىء باتفاق أهل النقل وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز لعاقل أن يلقى شيخاً لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه » (١٨).

وقد رد العلماء الاستدلال بهذا الحديث :

وقال الألوسى أيضا فى رده على هذا القول :

---

(١٨) محاسن التاول للقاسمى جـ ١١ ص ٤٠٩٢ ، ٤٠٩٣ .
(١٧) فتح البارى جـ ٦ ص ٥٠١ .

« السادس : أن غاية ما تمسك به فى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر عليه السلام فيالله العجب هل الخضر علامة يعرفه بها من راه ، وكثير من زاعمى رؤيته يغتر بقوله أنا الخضر ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى فمن أين للرائى أن المخبر له صادق ولا يكذب ؟

السابع : أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال : « هذا فراق بينى وبينك » فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم وكل منهم يقول قال لى الخضر ، جاءنى الخضر ، أوصانى الخضر فيا عجبا له يفارق الكليم ويدور على صحبة جاهل لئيم لا يصحبه إلا شيطان رجيم « سبحانك هذا بهتان عظيم » (١٩) .

وهناك كثير من الأحاديث الواهية والضعيفة ضربنا عنها صفحاً لعدم جدواها إذ لم تثبت بطريق صحيح عن المعصوم ﷺ والذى تطمئن إليه النفس أن الخضر عليه السلام قد مات شأنه فى ذلك شأن بقية البشر وذلك لعموم الأدلة والقول بتخصيص الخضر وإخراجه من عموم الآيات والأحاديث التى تقضى بموته تخصيص بغير مخصص وهذا لا يجوز .

---

(١٩) روح المعانى للالوسى جـ ١٥ ص ٣٢١ .

والروايات التى استدل بها القائلون بحياة الخضر عليه السلام لا يتوفر فيها شرط الصحة فضلا عن الثبوت القطعى الى رسول الله ﷺ .

كما أن حكايات العامة لا تقوم بها حجة ولا تثبت بها ولا بالروايات الضعيفة خارقة لسنة كونية فى امتداد عمر إنسان آلاف السنوات فإن أمور الكون تجرى على سنن مطردة ونواميس ثابتة وإثبات خرق سنة كونية لابد له من دليل ثابت قطعى إما بالمشاهدة المحسوسة أو النقل الصحيح عن المعصوم ﷺ .

وفضلا عن ذلك فإن الأدلة التى أوردها القائلون بموت الخضر سواء كانت من القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو من الآثار الصحيحة المروية أو من حكم العقل كلها أدلة قوية ومقبولة لا تقف أمامها أدلة القائلين بحياته .

« والله أعلى وأعلم »